now.mmedia.me

ميموزا العراوي
21 أيلول 2013

# فيلم "سيدة القصر اللبنانية" من إنتاج 1934: الذاكرة الناجية

دعت السفارة الفرنسية و"المعهد الفرنسي"إلى أمسية استثنائية افتُتحت فيها صالة "مونتيني" التي تم تجديدها في حرم المركز، بدعم من السادة ميشال إده، سليم إده، عدنان القصار وموريس صحناوي، وتخلل برنامج هذه الأمسية الاستثنائية عرض لفيلم "سيدة القصر" (اللبنانية) أوLa Châtelaine du Liban ، للمخرج جان أيبستان -Jean Epstein من إنتاج العام 1934. وقد تحدث في الأمسية بموضوع المحافظة وترميم الذاكرة السمعية- البصرية اللبنانية السيد لقمان سليم، رئيس "جمعية أمم ". الفيلم عُرض في إطار شراكة مع "المجلس الوطني للسينما" الفرنسي. ويبقى في خلفية الحدث، الى جانب إفتتاح الصالة التي تمّ تجديدها، فعل نجاة من الموت: نجاة لقسم من ذاكرة لبنان البصرية ــ السمعية من الفقدان، عندما "أنقذت" جمعية "أمم " قسماً من أرشيف ستوديو بعلبك!

على هامش الأمسية، كان لـ"NOW" هذا الحديث مع رئيس جمعية "أمم " لقمان سليم الذي قدّم بداية للفيلم. يقول: "أولا قِدَمُ الفيلم له قيمة خاصة، فهو أُنتِج سنة 1934، كما أن القصة التي تدور حول علاقة ضابط فرنسي بسيدة لبنانية في فترة الانتداب الفرنسي لها خصوصية عاطفية عميقة الصدى".

في العودة إلى ما تمّ إنقاذه من أرشيف "ستوديو بعلبك" الشهير، في أصل القصة، يشار الى مساهمة "ستوديو بعلبك" في تكوين هذه الذاكرة، وكان يُعرَف عنه بأنه أكبر ستوديو إنتاج في العالم العربي، إذ أُنتجت فيه معظم الأغاني والأفلام اللبنانية والعربية، خصوصاً في الفترة المسماة بالحقبة الذهبية التي امتدت من الخمسينات إلى ما قبل الحرب اللبنانية.

وللمفارقة، أهمية وخصوصية هذا المكان، إن من حيث الإنتاج الذي قدمه أو من حيث هندسته الفنية المتميزة، لم تحل دون بيع العقار لتحويله عما قريب إلى مرأب للسيارات!

الموت الذي نجا منه "جزئياً" ستوديو بعلبك لم تُعرض فصوله للأسف أمام الرأي العام، أقلّه بما يسمح بإبعاد كأس هدمه المُرَّة. نقول "جزئياً" نظراً

للدور الذي لعبه لقمان سليم في إنقاذ قسمٍ من هذه الذاكرة.

يخبر سليم "NOW" كيف أن مؤسسة "أمم للتوثيق والأبحاث" قامت بعقد صفقة مع "متعهد" تدمير هذا "الوقف" الثقافي اللبناني بأن تكون كل موجودات الاستوديو الورقية والتصويرية والتسجيلية في حوزة "جمعية أمم "، وأن تبقى الموجودات الأخرى تحت سندان مطرقة المتعهد أو في رحاب سوق "البيع بالكيلو" لكل ما خفّ وثقل حمله من معدات وأثاث.

لقمان سليم يردّ بشكل استباقي على كل من سيسأل متهكماً عن جدوى وجدية الكلام عن "إنقاذ الذاكرة السينمائية" في زمن الموت العارم. يقول سليم: "يعتمد بناء وتدعيم المستقبل بشكل كبير على خوض معركة الإنقاذ والحفاظ على جزء كبير من ذاكرة لبنان. قد لا يُعجِب من يمجّدون الموت وإرث الفناء التذكير بأنه لحسن الحظ صودف أن يكون لهذا البلد ذاكرة لا يفقهونها أو لا يريدون الاعتراف بها، وهي ذاكرة ملونة ومشرقة، ومتفائلة. ذاكرة ألطف وأرقى من ذاكرة الدم والعذاب والدمار التي لا ينفكون يحتفلون بها. أهمية ستوديو بعلبك ترقى إلى مستوى الترميز. إنها أهمية الأشياء التي ضاعت وتضيع وهي أهم بكثير من الأشياء التي تم إنقاذها. ومع شديد الأسف أقول إنني أرجّح أن يكون الكثير الكثير من المحتويات الفنية والرسائل التاريخية قد ضاع قبل أن نصل إليه.

الكتالوج المصور (الذي نشرته أمم ) والذي يعرّف عن هذا الستوديو وعلى ما عثر عليه من محتويات لا تقتصر فقط على الأفلام السينمائية، حمل عنوان "عن استوديو بعلبك ومنازل لبنانية كثيرة" وقد استوحى لقمان هذا العنوان من قصيدة للمتنبي يقول فيها "لك يا منازل في القلوب منازل ــ أقفرت أنت وهن منك أواهل". يستطرد سليم عند سؤاله عن غنى تراث هذا الأرشيف بالقول: "ممتلكات هذا الستوديو هي وقف لذاكرة لبنان وليس لذاكرة اللبنانيين فقط. فالمنازل هي "منازل كثيرة" منها ما حلّت ثم رحلت تاركة آثارها ومنها ما ضربت جذورها في البلد وأينعت ثمارها في فضائه.

ويتابع سليم: "الأعمال التي عثرنا عليها في ستوديو بعلبك يصعب عدّها وإحصاؤها. وثائق قيمة ومتنوعة تحكي عن النشاط الهائل المتعدد الاتجاهات في تلك المرحلة الطويلة من الزمن. أعمال لبنانية وغير لبنانية تقف شاهدة على نبض الماضي والحاضر تمت بلورتها وتنفيذها في ستوديو بعلبك. وهدف منظمة "أمم للتوثيق والأبحاث" يتمحور، بما يتعلق بهذا المشروع، حول إنقاذ الأعمال وتوجيه الانتباه إلى ذاكرة البلد. فتاريخه لا يعود فقط إلى فترة الثمانينات".

وحول أهمية الكتالوج وغناه البصري والمعلوماتي، قال: "لا نخفي ولا نتخفى خلف ستائر واهية. توجد في آخر الكتالوج دعوة ناصعة وصريحة إلى كل من يستطيع المساعدة مادياً أو فنياً، أن يساهم في ورشة ترميم وتوصيف تلك الوثائق. في الكتالوج دعوة مُلحّة لإنشاء مؤسسة غير نفعية تحت اسم "وقف ذاكرة لبنان" حتى إشعار آخر إلى أن يأتي يوم يتحلق اللبنانيون جميعاً حول سياسة واحدة اسمها "سياسة الذاكرة"، ويصبح في لبنان مؤسسة رسمية تحمي مثل هكذا نفائس وتدعو إلى التعرف إليها. جمعية "أمم " لا تريد إبقاء تلك التسجيلات والرسائل في ظلاميات الغرف المقفلة، بل تريد إظهارها، معتبرة أن لكل مواطن لبناني حق الاطلاع على إرثه وعلى امتداده، وحق التمعن ببذور الحياة التي زرعها من سبقه في كتابة تاريخ بلد ضج بالأمل والفرح".

في عودة الى الفيلم، أطلعنا لقمان سليم على أنه "مقتبس عن رواية للكاتب الفرنسي بيار بينوا صدرت العام 1924، وأن الفيلم تم ترميمه بشكل حرَفيّ وفني فائق الجودة برعاية فرنسية خبيرة... منذ عشرين سنة تقريبا (عناية المجلس الوطني للسينما الفرنسي). بعدها، يستطرد لقمان سليم قائلا "ليس من الغريب أن تدعم فرنسا بقاء واستمرارية ذاكرة لبنان. فالدولة الفرنسية كانت وستظل دائما السبّاقة في حماية الذاكرة اللبنانية خصوصاً حين يتعلق الأمر بعالم الصوت والصورة، إذ يكفي ذكر مساهمتها الأساسية في بناء تلفزيون لبنان الرسمي ومبنى بركات الشهير الذي تعهدت فرنسا بترميمه وتأهليه ليكون متحفاً للذاكرة لندرك مدى اهتمام فرنسا بكل ما يتعلق بصورة لبنان ومكانته في العالم.

استوديو بعلبك منزل يفتح على منازل كثيرة ما زالت في غياهب النسيان أو التجاهل. وهو علامة تشير إلى ذاكرات ضرورية لا بد من نبشها ووضعها في التداول حتى تكون النجاة من سلطة الذاكرات الإجبارية والجزئية والخصوصية ممكنة.

**موقع mmedia، ٢١ أيلول ٢٠١٣**